قصة طويلة

حسين و نمنم

نصير العراقي

دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2019

حسين ونمنم

قصة طويلة

نصير العراقي

العنوان: حسين ونمنم

النوع الأدبي: قصة طويلة

المؤلف: نصير فارس حسين العراقي (نبذة)

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: فريق عمل الدار

تصميم الغُلاف: فريق الدار

سنة النشر: 2019

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 30

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2019

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

•••••

قطعة جبن مع حبة طماطم، ورغيف خبز خبز على تنور الطين.

وضع كله في قطعة قماش ملونة جميلة كانت فيما مضى تستخدم كغطاء لرأس انثى لكنها اليوم تقاعدت وتعمل أعمال حره.

نهض الشاب من على سفرة الطعام البسيطة المنشورة على أرض الصالة في المنزل الصغير البسيط، وكله همة، ونشاط، وفي عينيه أمل، وتفاؤل كبير.

– حفظك الله لنا يا أبو مارية، وأرجعك سالما معافا محمل برزقنا، ورزقك.

– إن شاء الله اليوم يكون طيبا..

اعتني بنفسك، ومارية واختها رشا.

– لا تقلق نحن بحفظ الله ورعايته.

عند الباب الاب يقبل ابنتيه مبتدأ بالكبرى ذات الخمس سنوات ثم الصغرى ذات الثلاث سنين بعدها يرمق الزوجة بنظرة تفوح حبا، ومودة.

على الكتف القوي وضع الشبكة، ثم استلم من زوجته صرة الزاد، وانطلق كعادته قاصدا وجهته.

الزوجة والطفلتان يلوحون للمبتعد حتى بعد ان غاب عن الانظار.

خطوات متفائلة قوية، والوجهة كالعادة إلى بحيرة "السومرية" ذات الماء العذب،

والضفاف الناعسة، والامواج الرقيقة المتلاطمة حيث ينتظره هناك قاربه الصغير بشوق للانطلاق في رحلة جديدة.

– أخيرا وصلت.

نفس عميق.

– كم أنت منعش أيها الهواء لك نكهة واحساس مغاير بعد أن قبلت خد الماء، وانتهلت منه عبق الحياة.

حركة رشيقة وضعت خلالها الشبكة، والزاد في قلب القارب، ثم دفعة قوية من الساعدين النشيطين حتى أخذ القارب يتمايل مع رقص الامواج على الشاطئ.

أبعده وخاض خلفه في المياه لمسافة قصيرة، ثم قفز هو الآخر، وأخرج المجذاف الخشبي، وبدأ بالتجذيف، واحدة على اليمين وأخرى على اليسار والمركب الصغير يشق طريقه.

نصف ساعة من التجذيف دون كلل، ولا ملل حتى وصل البقعة المفضلة عنده في الصيد.

مساحة مائية لا يصلها إلا قلة نادرة، وهي على مسافة ليست بالبعيدة من الضفة الشمالية للبحيرة حيث التضريس المنتصب على اليابسة عند الضفة يصل ارتفاعه لعشر أمتار ولونه قاتم مظلم في آخره كهف يسميه الجميع "كهف الشيطان".

لا يقترب ذلك المكان أحد مهما كانت الظروف .

بدأ نشر الشبكة بعد ذكر اسم الله، والدعاء.

قارب اخر بعيد فيه صيادين يراقبان الشاب، وشبكته بكثير من الحسد.

– انظر لذلك المعتوه "حسين" كيف يقترب من تلك البقعة المحرمة..

ألا يعرف أنها ملك للشيطان؟! ألا يرى جبل قرن الشيطان؟!

الأخر يجيبه.

– ما يدريك لعله عقد صفقة مع زوجة الشيطان أو ابنته مستخدما وجهه الوسيم، فكما فتن الشيخ الجليل أمام الجامع، وخدعه، وجعله يزوجه ابنته "هيفاء" ويفضله على كل الاعيان والتجار الذين تهافتوا لخطبتها قام بخداع عائلة الشيطان.

الأول.

– دعك منه حتى لا نصاب بلعنه، ولنركز بإخراج الملعونات السمكات علنا نعود ببعض الاموال فالمخلوقة التي ابتليت بها لا تكف عن الطلبات..

لا تعرف غير كلمة هات.

الثاني، والحزن خيم عليه.

– أنا مثلك.. بل لي اليوم اسبوع كامل لم اتمكن من شراء زجاجة خمر.

حان وقت الظهر، فشمر الشاب عن ساعده، ومن ماء البحيرة أغترف وتوضأ، وللصلاة استعد، ثم على ظهر القارب ركع وسجد والموج حوله هدأ وسكن يعينه على أداء

عبادته بكل يسر وطمأنينة.

انهى صلاته، ثم لصرة الزاد فتح، ومما قسم له ربه اكل وحمد وشكر.

دقائق قصار أنهى طعامه، ثم بدأ بجمع شبكته، ومع كل سمكة تخرج عالقة بالشبك يحمد الله، ويثني عليه، يرفع صوته بالثناء ليعم الأرجاء.

الرزق وفير، والبدء بالتجذيف بعد استراحة قصيرة والوجهة الساحل الشرقي للبحيرة حيث النية التوجه إلى السوق.

بعيدا عن الماء قريبا من احدى أطراف البحيرة كانت هناك عينان تراقبان الوسيم بحذر وتدقق فيه النظر.

وصل القارب مبتغاه، ثم حمل الشاب بضاعته.

في السوق قام ببيع نصفها، واحتفظ بالنصف الآخر.

قسم النصف لخمس حصص، وكل واحد كان من أربع سمكات لا يتجاوز طول الواحدة الشبر.

خرج من السوق فمر على بيت عمه امام الجامع، واعطى ام زوجته حصة ، ثم انطلق إلى أطراف البلدة الغربية ومر ببيت فطرق الباب لتخرج عليه عجوز وطفلة فألقى التحية، وأعطهما حصة، ثم انطلق وزار القبور خارج البلدة، ومر بخيمة صغيرة عند أطرافها ليضع عند قاطنيها الحصة الثالثة، ثم قفى عائدا يقصد الجنوب حيث بيته الصغير المتواضع، وفي الطريق، وعند وصوله مكان اعتادت القطط التجمع فيه تنتظر

ما يسوقه الله لها من رزق توقف أبو مارية، وأخرج سكينا، ثم بدأ بإعطاء الحصة رابعة الأربع.

يقطع، ويرمي القطع لتنال المتجمهرين كل منهم حصة صغيرة.

وصل بيته وهو مبتسم وفي جيبه دراهم مع الحصة خامسة الخمسة.

قلب مبتهج مرتاح راض.

مارية مع أختها تستقبلان الاب، وهما فرحتان.

يحمل الاولى بيده اليمنى، والثانية يضعها على كتفه كما اعتادت لتعبث بشعر لحيته.

الزوجة تقف عند الباب وقد أشرق وجهها الجميل بابتسامة رضا، وفرحة، وحب.

الشمس ودعت سماء البلدة وأشعل المصباح الصغير الذي يعمل بالزيت، فاجتمعت العائلة السعيدة حول السفرة الصغيرة يأكلون، ويتبادلون الضحكات، والكلمات والابتسامات.

منظر الطفلتين وهما تأكلان دفع الوالد إلى الضحك مرارا بغبطة، وحنان.

– عزيزي أود اخبارك بأمر.

– تفضلي يا ضياء العين.

قرب الفم من الاذن، ثم همست كلمات بحياء.

– أنا حامل.

ضحكت العينان، وسرت الملامح، وعلى الفور سجود شكر.

استقام من سجدته، ثم قبل جبين زوجته.

– اتمنى هذه المرة نرزق بثالثة.

– لما البنت أنا أريد ولد.

– وأنا أريد بتربيتي للبنات تربية صالحة أن ندخل الجنة ان شاء الله.

ساد السكون المكان بعد طعام، وقليل سمر.

اطفئ المصباح، وغط الجميع في النوم تداعبهم أحلامهم الجميلة.

صباح جديد، ويوم كله أمل، وبهجة، وفرح.

الصرة ذاتها، والطعام عينه، والوداع المغمور بالمشاعر المتجددة يسود الموقف.

ساعدان قويان يجذفان بعزيمة نحو الهدف.

انزلت الشبكة في الماء، وكالعادة الانتظار حتى انتصاف النهار.

صلاة، ثم تناول للغداء، فسحب للشبكة.

– سبحان الله ما هذا؟! الشبكة خفيفة جدا.

سحب، وسحب...

– لا حول ولا قوة إلا بالله.. فارغة لا شيء فيها.. هذه أول مرة تحصل.

استغفر ثم ابتسم.

– حسنا سأعيد الكرة لكن بعد أن أغير موقعي.

توغل شمالا أكثر، ثم رمى الشبكة.

القارب البعيد الذي فيه الأثنين.

الأول.

– هههه.. يبدو أن عشيق ابنت ابليس لم تعطه اليوم شيء عشيقته.. انظر إليه كيف راح يجذف ليقترب من بيتها حتى يرجوها.

الثاني.

– دعك منه، وهلم نسحب الشبك فكلانا بلا عشيقة، ولم نحصل على شيء منذ أيام.

حسين ينتظر، والأمل يحذوه، وأخذ بصره يتفحص ذلك التضريس الصخري الذي كثرت حوله الأقاويل.

– لا أرى ما يثير الشك، والريب، فهو تضريس كباقي تضاريس الأرض.. أظن أن جداتنا واسعات الخيال، وقد تفنن في إخافة الأطفال.

القارب البعيد.

الاول.

– ما هذا؟! انظر يا رجل إلى كل هذا.

الثاني.

– هذه أول مرة تحصل معني منذ عرفت وجهك الكئيب حتى اليوم.

ضحكات تعالت

الاول:

– اليوم يوم السعد.

الثاني:

– اليوم يوم الثمالة.. يوم السكر.

جمعت الشباك المحشوة أسماك.

ثم انصراف سريع، وكذلك بقية القوارب؛ لم يبق سوى قارب الصياد الشاب ينتظر سوق الرزق من الرزاق.

ساعتان انقضت، ودخل على الثالثة.

– الآن سأسحب الشبكة.. سبحان الله ما أثقلها !

استجمع كل قواه، وسحب بقوة، وإذا ببوادر الخير، والرزق الوفير تظهر.

قبل أن ينهي عمله أخذ الجو يتغير.

الهواء بدأ يشتد، والأمواج أخذت بالحركة والارتفاع رويدا، رويدا.

القارب الصغير يهتز، ويهتز.

أكمل سحب شبكته، وحمل القارب بأكثر من طاقته.

حاول التجذيف باتجاه وجهته لكن الامواج، وشدة الريح منعته.

– ما من مفر علي الالتجاء للجانب الأقرب حتى يفتر الريح، وتستقر الأمواج أو أحمل رزقي، وأعود راجلا قاطعا مسافة طويلة جدا.

تجذيف باتجاه الشمال، وإلى الساحل وصل.

ساخ القارب في الرمال.

نزل الشاب وبدأ يجر ويسحب، وبعد جهد وتعب تمكن من جذب القارب، وإيصاله بعيدا قليلا عن الماء، وبحبل ربطه بمجموعة من القصب الذي يسود المكان.

حمل صيده الوفير على كتفه، وكان حمل ثقيل أجهده قبل بدأ رحلته، وأول الخسائر هي سكينه الصغيرة التي ضاعت في الرمل.

رحلته تستغرق زمن طويل حتى الالتفاف حول البحيرة، والوصول إلى البلدة.

ما من مهرب، ولا مفر فالريح اشتدت والوقت داهمه.

بين القصب المحتشد بكثافة يشق الشاب طريقة، وهو لا يعلم أن هناك من يراقبه، ويحاول الاقتراب منه.

خطوة بعد الأخرى ثم تعثر وسقط في حفرة أشبه بالمصيدة.. حفرة لم تبتلعه بالكامل بل تمكنت من لي كاحله.

ألم، و وجع.

تحامل على نفسه، وحاول النهوض، والاستمرار، لكن الألم منعه، وعاد للترنح والسقوط من جديد.

الجبين يتفصد عرق والعينان تبحلقان في الارض تبحثان بلهفه عن عصا قوية.. أي شيء يتكئ عليه حتى يتمكن من الوقوف دون فائدة لا شيء سوى القصب، القصب

وحسب.

بدأت محاولات أخرى.. الزحف للخروج من هذا المكان.

المراقب بدأ يقترب من المراقب بسرعة حتى لا يضيع الفرصة التي كان ينتظرها منذ زمن طويل جدا.

الأذن تلتقط صوت شيء يخترق القصب بعنف.

تسارعت دقات القلب، وحبست الأنفاس.

اليدان مع الساق السليمة الجميع يحاولون الهرب بالجسد دون جدوى، فسرعة القادم تفوق كل الاحتمالات.

صرخة أطلقت اجبرت حتى الطيور على الطيران هربا هي الأخرى رغم قساوة الجو.

بعد ذلك ساد الهدوء وأخذت الريح الشديدة تشد رحالها والأمواج تخفف من انفعالها.. وقت قصير وكل شيء سكت، وعاد إلى سابق عهده وهدأ.

غربت الشمس، وحل الظلام، والصغيرتان مع الام ينتظرون عند باب الدار.

قلق، وجل هذا كل ما يقرأ من ملامح وجه هيفاء أم مارية.

احساس غريب إلى القلب تسرب.

انقباض، وشعور بشر قد حل على أبو العيال.

حدثت نفسها.

– أنتظر قليلا، وبعدها ألجئ إلى أبي.

صوت قطرات مياه ترطم الارض.

هذا أول ما سمعه حسين عندما بدأ يستعيد وعيه.

– آه رأسي يؤلمني، وقدمي ما زالت تصرخ وجعا.

حرك الرأس يمينا، وشمالا.

– لا حول ولا قوة إلا بالله.. فقدت بصري!

صوت يجيبه.

صوت لا أنثوي، ولا ذكري.. صوت ذو نبرة غريبة، كأنه أتقن الكلام حديثا.

– لا تقلق عينيك لا بأس بهما؛ إنما المكان الذي أنت به مظلم، وعيونكم لا تقوى الابصار به.

قشعريرة سرت في الجسد عندما طرقت الكلمات باب الأذن.

– من أنت أو أنت؟! وأين أنا؟!

حركة أحس بها، وأنفاس غريبة عالية اقتربت منه.

– أنا نمنم.

– من ؟!!

– نمنم، ألا تعرفني؟

مستغربا.

– لا أعرف أحدا بهذا الاسم.. وهل تعرفني؟!

الأنفاس تبتعد، والصوت صار له صدى.

– أعرفك منذ زمن.. زمن طويل.. منذ كنت صغيرا تأتي مع أباك تساعده في صيد السمك.

زاد الغموض، وتلبدت غيوم الحيرة.

– أين نحن؟

من أنت؟

ما الذي جرى؟

الذاكرة عندي مشوشة.. كل ما أتذكره هو مخلوق ما هاجمني لا أعلم هل هو خنزير أم دب لا أتذكر.

صوت أشبه بزمجرة كلب ممزوج بفحيح أفعى.

– لا ليس خنزير، ولا دب، ليس، ليس.

اقتربت الأنفاس ولفحت حرارتها والوجه الوسيم، فاقشعر البدن، وارتعدت الأوصال.

تجرأ، وتشجع، فرفع يده ليلمس المخلوق غير أن ردت الفعل لنمنم كانت أسرع من اليد.

ابتعدت الانفاس مجددا وهدئ الصوت الغريب شبيه الزمجرة.

– لا تقلق أنت بأمان ومأمن هنا لن يصل إليك أي أحد، ولن يزعجك مخلوق قد خلق.. نم الآن أنت مجهد، وغدا صباحا ستعرف كل شيء.

في خوف، ووجل.

– زوجتي، وطفلتاي.. قاربي، ورزقي.

صوت منزعج.

– أترك كل شيء للصباح، فالصباح رباح.

الشيخ المسن يجمع بعض الشباب، يخبرهم بأن غدا في أول ساعات الصباح يبدأ البحث عن أبي الحفيدتين.

الزوجة قضت ليلتها باكية تارة، ومتوسلة الله أخرى، والطفلتان في حضنها نائمتين، وبالأحلام غارقتين.

ساعات الليل مرت طويلة على الجميع، والقلق مع الخوف يقطعه الرجاء فهو سيد الموقف.

أصبح الصبح...

الشباب عند باب الجامع متجمعين، وللشيخ منتظرين.

خرج الرجل، وإياهم كلم.

– كما تعرفون حالي.. لا أقوى على مرافقتكم.. انطلقوا على بركة الله، وأسعوا باحثين، واجتهدوا سائلين.. ابدؤوا بالبحيرة.. دعواتي لكم بالتوفيق.

عند البحيرة حيث الاثنين يضحكان، وهما لقاربهما يدفعان.

أحد الباحثين يسأل بعد أن القى التحية.

– نبحث عن "حسين" الصياد زميلكم.. هل رأيتموه أمس أو اليوم؟ أرجوكم أخبرونا بما تعلمون.

الاول أراد الكلام، والاجابة بالإيجاب، لكن الثاني سبقه.

– كعادته أمس، وبعد صلاة الظهر بقليل جمع شبكته وعاد إلى البلدة.. هناك خطب ما حصل؟

– إي والله، خطب غريب، فالرجل منذ الامس غائب عن بيته.

الاول يدمدم مع نفسه: لعله يبيت عند عشيقته.

السائل ينظر يراقب الشفاه، وهي تتحرك دون صوت يخرج، فسأل واستفسر.

– هناك أمر تود إخبارنا إياه أخي؟!

انفعال مفتعل.

– لا فقط كنت ادعو الله أن يعيده لعياله بالسلامة.. إنه شاب طيب صالح.

انصرف الجميع وتوزعوا لأكثر من مجموعة يبحثون في الارجاء مبتعدين عن البحيرة، وقد غربت عنهم فرصة إيجاده في ذلك المكان.

توقف الشاب السائل أولا بعد أن تذكر أمرا، وعاد ناحية الصيادين مهرولا.

– المعذرة أخوي.

– انزعاج على الوجهين باد.

– تفضل.

– أين قاربه إن كان قد غادر فعليه ترك القارب عند الساحل.

الاول يجيب بسرعة، ودون تلكئ.

– أخذ القارب معه، فقد أصيب بثقب نتيجة ارتطامه بشجرة كانت تطفو بالقرب من الضفة الشرقية.

عاد الشاب ادراجه يجر خيبته معه.

الاول يسأل الثاني.

– لما فعلنا هذا؟! لما لم نقل الحقيقة، وكفا؟!

الثاني يجيب.

– أي حقيقة تريد؟! وهل قلنا غيرها ؟! يا ذي العقل "اللوذعي، الالمعي" يبدو ان خمر الأمس كان أثره على عقلك قوي.

ضحكات تلتها ضحكات، والخبث مع الفرح قد بان، ولاح.

الاول عاد للكلام.

– تخلصنا منه لا أعاده الله.. شخص كريه جدا، وأكثر ما يغيظني فيه تلك الوداعة، والابتسامة التي لا تفارق فمه.

الثاني يكمل.

– أيييه، وزوجته حسناء فاتنة.

الاول يسترسل.

– أتمنى ألا أراه مجددا أبدا.

الآخر يؤيد.. ويستمر الضحك.

بعد مشقة تمكنت أشعة الشمس من التسلل من عدة اماكن مختلفة والوصول إلى أعماق ذلك الكهف المظلم لتداعب وجه حسين المسجى كالقتيل في احدى زوايا المكان.

– آه يال الصداع الذي يكاد يفتك بي.

نظرة متفحصة بتركيز كبير في محاولة لمعرفة مكانه.

الرؤية بصعوبة.

– أين أنا ؟!!

ما هذا المكان ؟!!

تبا، وما هذه الرائحة المقرفة، لما لم أشمها أمس؟!

علي النهوض، والبحث عن مخرج.

محاولة للنهوض نجحت، لكن الكاحل ما زال يؤلم، ولا يعمل.

توكئ على أحد جدران الكهف، وتقدم ببطء.

بدأ يحس بنسمات هواء منعش تتسرب باستحياء، وخجل إليه.

التقدم بصعوبة، والمكان مليء بقشور فواكه، وعظام حيوانات، وجلود.

الرائحة مزعجة جدا.

أخيرا ضوء يدل على قرب النهاية والوصول إلى المراد حيث بداية الأمل.

اقتراب، واقتراب، والقلب أخذ يدق بسرعة مستعجل.

كفان قويان يمسكانه من الخلف.. سحب بقوة إلى الداخل، وجر، وسحل.

لحظات، وعاد حيث كان.

لم يصرخ، أو يعترض، فالذهول لما رأى كان أقوى من القول.

مع ضعف الضوء وحدة البصر، والتركيز وجد أمامه كائن ليس من الإنس، ولا هو بحيوان مفترس.

منتصب أمامه على رجلين بوجه كبير مدور يشبه وجه القرد، وعينان واسعتان لم ير مثلهما فقط عند البقر.

الجسد طويل بطول رجل ضخم مكتنز باللحم، قريب من البدانة أكثر.

شعر كثيف طويل من أعلى الرأس حتى الركبتين، وقد غطى الصدر، والعورتين.

ملامح الوجه ليست واضحة بأدق التفاصيل لكن الأمر مخيف، ولا يقبل التأويل.

رعشة في الصوت، والخوف جمد الروح في إحدى زوايا الجسد.

– أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...

المخلوق ينطق، ولصوته يحاول أن يرقق.

– لا تخف، أنا من خلق ربك ولن أؤذيك.. لا تقلق.

– ممن أنت؟!

ما جنسك؟!

ماااذا تريد مني؟!!

تحرك المخلوق مبتعدا، وعلى صخرة في الزاوية البعيدة جلس.

– أنا "نمنم" أنا "نمنم" أنا أحبك منذ زمن.. أنا التي كانت تراقبك من أول الصباح حتى ترحل عن البحيرة، وتنتظرك كل ليلة حتى تعود ثانية.. أنا من عشقك كعشق القمر للسماء، وأحبك كحب الشمس لنورها.. أنا حبيبتك الأولى، والأخيرة.

كلام غير متوقع، وفي الحيرة الشاب وقع.

– ما هذا؟!! أظنني أحلم بل هو كابوس، وسأستيقظ، نعم أستيقظ، فالوقت قد تأخر، وامامي عمل كثير أريد إنهائه.

قاطعته محدثة، وللهذي منهية.

– نعم هو حلم، حلم لي، وقد تحقق.

نهضت نمنم، وتقدمت بهدوء، ولوجهها من وجهه قربت.

أصيب بالذعر، لقباحة المنظر ونتانة الرائحة.

فتحت فمها الكبير المليء بالأسنان الحادة شبيهة المناشير، ثم للسانها أخرجت.

كان أحمر قان طويل.

قربت فمها من ركبته اليمنى، وأخذت تلعق بها.

بعد بلع ريقه مرارا.

– ماذا تفعلين.. بدأت أحس بحرارة، وألم يتسرب من ركبتي إلى كامل ساقي، والقدم.

لم تجبه بحرف، وللركبة اليسرى بلعابها غمرت.

عادت لتنتصب واقفة، ثم قالت له:

– هذا الذي فعلت يمنعك من الحركة لأشهر أربع حتى أطمأن عليك، وأنا غائبة.. يا حبيبي حسين.

توسل، وبكاء انفجر به دون مقدمات.

– دعيني فلي زوجة، وطفلتين، وبعد الله مالهم سواي من معيل.

اختلف الصوت، وصار أجشا مرعبا.

صرخة قوية، وانفاسها لفحت وجه الشاب فأحس بحرارة حارقة.

– أنت لي، ولن تكون بعد اليوم لغيري، وما منحته لك تلك الانسية سأمنحه لك أنا " نمنم" آخر بنات جنسي.

عندما يأس من كل شيء أطلق صوته عاليا طالبا النجدة، وأخذ يصرخ، ويصرخ.

انقضت المخلوقة بسرعة، وقوة، و وضعت فمها على فمه، وأدخلت شيئا من لعابها داخله، ففقد الصوت، وعجز عن الكلام.

– أنت أجبرتني على فعل هذا، وبفعلتك هذه حرمتني من سماع صوتك، يا حبيبي، لكن لا يهم كل شيء سيكون بعد أربع أشهر على ما يرام، وخلال هذه الفترة ستعرف مقدار حبي لك.

انسحبت بهدوء، وغابت عن ناظريه.

العينان اغرورقتا، والصدر حشرج، واشتعل.

محاولة الصراخ بائت بالفشل، فاللسان شل، والحنجرة تعطلت عن العمل.

الركبتان مع الساقين تعطلت جميعها.

رفع رأسه إلى أعلى، وأطلق العنان لعينيه، وفتح الباب لدموعه.. دموع رجاء، وحزن.

الأنفاس الحارة تخرج محملة بالدعاء، والاستغاثة بالله الواحد الأحد.

سارت ساعات النهار ببطء، وألم.

الزوجة تقرر العودة إلى بيتها الصغير رغم معارضة الأب، والأم، لكن اصرارها على العودة، وانتظار زوجها هناك كان أقوى.

هبط الليل موحش مقفر على الزوجة، وعلى زوجها.

أم الصغيرتان لهما تحتضن، والبيت خال من شمعته، ومؤنسها صاحب الضحكة الجميلة، والصدر الدافئ الذي كانت تلجئ إليه كلما أحست بخوف من الأيام.

الشاب في الكهف الرطب لم تجف دموعه، ولا سكت رجاءه، وأمله في رجوعه.

عادت "نمنم" وللصوت الفرح المرعب اطلقت.

صوت يشبه الهمهمة.

ووقع اقدامها تثير الجلبة.

رمت من على كتفها كيس كبير وضعته بجوار "حسين".

– خذ كل.. طعام لك.

الشاب لا يرى شيء من شدت الظلام، ولا يستطيع الاعتراض بكلام، فأطلق بعد صراع مرير شيء اشبه ب "الطحير".

– احححححح...

ابتسم في عتمت المكان، ولم يظهر من ابتسامتها سوى أنفاسها النتنة.

اقتربت منه اكثر، فأكثر، فأكثر، ثم جلست، وبكفيها لشعر رأسها عن جسمها ازاحت حتى كشفت عنه بالكامل، لكن الشاب لم يتمكن من رؤية المنظر.

كان كجسد امرأة انسية بالضبط.

أمسكت يديه بهدوء، وسحبتها ناحية جسدها، وأول ما وضعت كف الشاب على نهديها، كانت ردت فعله قوية.

أراد ابعاد يده، لكن هيهات فقبضت كف المخلوقة أقوى، وأشد.

أخذت تعرف يده على جميع تفاصيل جسدها، وهي تصدر أصواتا غريبة.

مواء ممزوج بفحيح.. يدل على أن تلك الانثى ترغب في المعاشرة.

بعد تجول الكف الاسير مجبرا أطلقت سراحه، ثم أمسكت ركبتي الشاب، وباعدت بينهما، واقتربت، ثم بدأت مهمتها للحصول على غايتها.

حركات باليد والرأس والجسد أشبه بالدفاع، والامتناع.

حالة الاغتصاب بدأت.

انين شبه معدوم يقابله صوت المواء الممزوج بفحيح يعلو ويشتد، والجسد على الجسد أمتد، وتمدد.

دقائق، وتحول الصوت الغريب إلى صفير عال مريب، ثم عواء اشبه بعواء الذئب الجريح بعدها هدأ كل شيء، وابتعد الجسد الغاصب عن الجسد المغتصب تارك خلف الكثير من الألم، والمزيد من الدموع.

ساعات الليل تمر ثقيلة.

في البيت الصغير دموع بصمت، وانين محبوس.

أما "نمنم" فالفرح عليها بان، والبهجة أعتلتها.

صباح اليوم التالي كان صبحه كئيب محمل بوجع، وحسرة.

عينا الشاب تتفقدان جسده وما حوله، وتنظران بأسى إلى بوله، وفضلاته كلها أصبحت تحته، كأنه طفل أبن أشهر قليلة.

دموع تتلو دموع.

"نمنم" تنهض من نومها العميق نشطة، وتخرج دون أن تلقي نظرة على أسيرها، ثم تعود بعد ساعة، أو أكثر بقليل، وهي تحمل معها القليل من الحطب.

وضعت الحطب، وحفته بحجارة موجودة في الكهف.

صنعت موقدا لإشعال النار، ثم بدأت تضرب حجرين ببعضهما وأخذ الشرر يتطاير منهما.

قليل من الوقت انقضى، وأوقدت النار وسرى الضوء ينتشرا في المكان.

حسين يراقب بألم، والوضع له بدأ يتضح ويتوضح.

المكان عبارة عن مكب نفايات.. هياكل حيوانات، وجلود مع براز، وأكوام من الخضر، والفواكه المتعفنة.

ركز النظر على آسرته، وإذا بها وحش بشع تمشي كانسان أحدب، وجهها كوجه قرد، وانفها مفلطح.. ذراعيها طويلان، وفخذيها عظيمان.. مؤخرتها نحيفة دقيقة، وثدييها كبيران متدليان يبينان اثناء حركتها من بين شعر رأسها الكثيف.

ابتسمت له ابتسامة يشيب من بؤسها الولدان.

تقدمت نحوه، وهي تتبع رائحة غريبة بأنفها.

واصلت بحثها فوجدته قد فعلها تحته.

نظرت إلى عينيه، ثم ابتسمت، وعلى فورها انصرفت لتعود بعد قليل تحمل دلو فيه ماء لا يعرف من اتت به، فهو صناعة بشرية.

حملته كما يحمل الرضيع على الكتف، ولباقي ملابسه مزقت، وعنه النجاسة أزالت، ثم أجلسته قريبا من النار التي أشعلت، وبعض الفواكه له قدمت.

الشاب لا يصدر منه سوى الدمع، وينظر إليها بخوف وانكسار.

اراد إيصال رسالة علها تفهمه.

المخلوقة تعمل بكد، ونشاط، وللمكان تنظف، وترتب.

هي الاخرى تريد ايصال رسالة مفادها: كل هذا أفعله لأجلك.

حل الليل، وكسابقه بدأ الاغتصاب للجسد بشراهة، ونهم، والمقاومة من المغتصب خفت، ولأمر واقع استسلم.

اليوم الثالث انقضى نهاره، ودخل ليله، والحال لا يتغير عند الشاب.

بدأ يستسلم، ويأكل، ويشرب، واليأس إلى نفسه بدأ يتسرب.

في البيت الصغير...

المؤنة نفدت، والنقود انتهت، وصارت هيفاء من أمرها متحيرة، ولطلب المعونة من أهلها خجلة، وعلى زوجها وجلة، وللحزن، والدموع استسلمت، وبالدعاء أجهرت.

بعد منتصف ليل اليوم الثالث نهضت "نمنم" بمزاج مضطرب، وراحت تصرخ بصوت غريب، وكأنها تشكو من ألم أو حدث حصل لها مهم.

دقائق من الصراخ المستمر بعدها عاد الهدوء، ثم لأحدى الزوايا أخذت، ولما في جوفها أفرغت.

رائحة مقززة انتشرت، الشاب لا يكترث.

دموع نزلت عند ظهور صورة مارية، وهي محمولة على كتف أمها في مخيلته.

اقتربت "نمنم" منه وبنبرة فرحة قالت له:

– انتهى، وحصل.. ثلاث أشهر، وتصير أب.

صاعقة على رأسه نزلت.

جف الدمع، وتبدلت ملامح الوجه في تعبير عن انزعاجه، ورفضه لما حصل.

ابتسمت ابتسامتها المرعبة، ثم حملت كيسها الكبير، وانصرفت على غير عادتها في وقت مبكر جدا.

في اطراف البلدة حيث البيت الصغير الذي يضم الشابة، وطفلتيها.. طرق على الباب مريب، والشمس ما زالت في عشها.

صاحت ام مارية بنبرة خائفة متوترة.

– من الطارق؟!

لم يأتها جواب.

طرق آخر أشد حدة من الأول.

صرخت المرأة بفزع حتى أن الطفلتين فزعتا من نومهما.

– من الطارق أجب؟!!

اختفى الطارق، وكأنه حقق هدفه، ورحل.

الشابة في خوف، وقلق تأخذ صغيرتيها في حضنها، وتحشر نفسها في زاوية سريرها باحثة عن ملجئ، ثم أجهشت باكية، وقالت:

– أين أنت يا حسين؟!

أين ذهبت؟!

لما تركتني والصغيرتان؟!

بعد ذرف الدموع استرجعت، واستغفرت، وأطلقت صوتها داعية ربها.

مر الوقت، وانتشر الناس، على صوت الحيوانات، وصياح الاطفال في الطرقات.

خرجت هيفاء، وفي قلبها الخوف ما زال مستوطن.

اليد على مقبض الباب توضع وتسحب بحذر، وبطء.

– ما هذا وكأنه موصد أو قد اسند عليه شيء ثقيل!

زاد القلق، وكثرت الريبة.

– علي التشجع الناس في كل مكان لما الخوف.

سحب الباب بقوة، ورشاقة، فسقط أمامها طريح الأرض كيس كبير، ومن فمه الواسع أعلن عن جوفه الزاخر المحشو باللحم، والخضر مع الفواكه.

علامات الاستغراب حلت على الملامح ضيف مستعجلا، واللسان بفطرة صاحبه لهج بالشكر، بالحمد لخالقه.

تمر الايام، وتتوالى الاسابيع، والجميع عن ذكر الشاب انشغل ما عدا الزوجة، فكان قلبها يحدوه الأمل، وتشتعل داخله شعلة الرجاء.

كل أسبوع الطرق ذاته في الوقت نفسه، وكيس مليء بالرزق.

لم تفكر الشابة بفتح الباب، ولو مرة لأنها كانت تعتقد أن الذي يأتي بالطعام هو فاعل خير يطلب الثواب، فلم ترد تضييع سرية ما يفعل، ولم تعلم ان مخلوقا مخيف مرعبا هو من يقوم بالمهمة.

حسين في الكهف كئيب، وقد طال شعره وطالت أظافره، وأقترب منظره كثير من صاحبته "نمنم".

المخلوقة لم تعد بنفس قوتها، ونشاطها، فبطنها المنتفخة أثقلت حركتها.

ثلاث أشهر انقضت، وفي ليلة اكتمال القمر صحى الشاب على صرخة لم يسمع لها مثيلا من قبل.

أخذ يزحف بمعاناة مستخدما يديه الضعيفتان.. واصل الزحف حتى وصل مصدره.

صرخت به المخلوقة زاجرة، وقالت له وهي متألمة:

– ابتعد عني وإلا قتلتك.. ابتعد، ولا تصدر أي حركة، فحالتي تتغير ومزاجي يختلف.. إياك، وجعلي أنتبه لوجودك، وإلا أزهقت روحك.

انسحب عائدا، ولمكانه التزم.

صراخ امرأة، وعوائد مع أنين، ومواء كلها امتزجت في صوت واحد اشعل جوانب الكهف، وخرج إلى الخارج.

جميع الكواسر، والجوارح في الخارج التزمت الصمت لحدت، ورعب ما سمعت.

قليل من الوقت، ثم هدأ كل شيء.

داخل الكهف ظهرت أصوات جديدة غريبة.

"نمنم" تنادي شريكها في المكان بلطف، وصوت متعب.

اقترب حسين، وهو خائف يرتعد، فقالت له قبل أن يصلها:

– اشعل النار أولا.

بعد جهد بسيط أنير المكان، وأخذت الظلال تتراقص.

اقترب، واذا به يرى مخلوقين صغيرين كل واحد منهما بحجم القط، وحولهما الدماء والمشيمة مع سوائل كثيرة.

كانا مسخين بملامح وجهين اقرب للإنسان.

اشمئز، وزاد حزنه ألما، وأحس بذنب كبير.

أراد الانقضاض عليهما وقتلهما غير أن إحساس غريب في قلبه ظهر، فمنعه.

في اعماق نفسه بدأ يتساءل.

– ما هذا يا إلهي؟!

إنه يشبه ما مر بي عندما رأيت مارية أول مرة.. تبا، تبا.

عاد أدراجه، والدموع كشلال منهمر.

نهضت "نمنم" ولصغيريها احتضنت، ثم بدأت تشمهما، ولجسديهما تلعق.

حسين ينظر باستغراب، ودهشة.

– انها تقتلها، بما في لسانها من سحر.

قالت له بعد أن عرفت ما في عينه.

– لا تقلق، فالأم لا تقتل وليدا لها إلا إذا مات قلبها أو خان حبيبها.. هذا حالنا نحن.. إني لجسديهما أنظف، ولقلبيهما أنعش.. سيمر أسبوع كامل حتى تبصرا، ومثله

معه حتى تسيرا على رجليهما.

ابتسامه ذابله.

– ماذا تريد أن تسميهما.

أنين محبوس، وصوت ضعيف بالكاد يخرج.

استمرت المسخ بالكلام.

– نسيت أخبارك.. كلاهما أنثى.. سأسمي هذه.

أشارت إلى التي على اليمين.

– هذه سارية.

نظرت إلى من كانت على يمين حضنها.

– هذه جارية.

خفض رأسه، وهو حزين، وأخذ في قلبه يطلق الدعاء، والرجاء عله يتخلص من هذا البلاء، ثم حرك نفسه مستترا بكيس الطعام الكبير بجواره، وأخذ يصلي ايماء دون أن تلاحظه "نمنم" التي هددته بالقتل إن رأته يفعلها أمامها.

استمرت الأيام بالسير، والصغيرتان أمام عيني أبيهما تكبران بطريقة عجيبة مذهلة فبعد ثلاث أسابيع تضاعف حجميهما الضعفين، وبدى عليها القبح والشراسة بما يفوق امهما بأضعاف مضاعفة بعد تحول ملامحهما من قريبة بالبشر إلى شيء لا يقبل أو يعقل هجين مرعب.

فكل واحدة صار وجهها احمر، والأنياب شقت الشفتين وبرزت، واليدان تقوست، ومن الاصابع براثن ظهرت وفي المؤخرة ذيل نبت.

حتى "نمنم" تغير حالها واختلف شكلها، وغدت أكثر قبح.

الوجه أخذ بالنمو إلى الأمام، وصار يرعب كثيرا، ومزاجها تحول للشراسة والعنف.

كالعادة خرجت المخلوقة في أحد الايام تاركة الصغيرتين.

حسين يحس بأمر مختلف في جسمه حصل، فالحركة لأحدى ركبتيه بدأت تعود، والساق صارت تستجيب مع القدم.

لم يظهر ذلك وبقي يدعي العجز.

عند الضحى كالعادة استسلمت الصغيرتان للنوم، فبدأ بالزحف بهدوء، وحذر وفي نيته الوصول إلى أحد مداخل الكهف لعله يعرف أين هو أو على أقل تقدير يرى الشمس وتراه.

زحف، وزحف، ومعاناة وتعب، واستمر بالزحف.

أخيرا بعد أشهر من الرطوبة والعتمة أغلب الوقت هو والشمس وجها لوجه مواجهة ولقاء لم يترك للدموع الحارق بد من ان تفيض وتجري مسفوحة على مذبح الوجنتين المنهكتين.

حدث نفسه.

– كل هذا الوقت وأنى على شفى البحيرة داخل كهف الشيطان في جبل قرن

الشيطان.

زحف مقدما حتى أخر الحافة حيث الماء تحته مباشرة.

العينان تؤلمان صاحبهما.

قليل من الوقت ثم استعاد كامل البصر.

تفقد للمكان وبحث عن أمل، وإذا بقارب صغير يلوح في الأفق.

أراد الصراخ فمنعه لسانه المحبوس، وحنجرته المعطلة.

طأطأ رأسه واطلق العنان لدموعه ورفع اكفه ولهج في داخل نفسه بالدعاء، والرجاء، والتوسل بحرقة.

– إلهي أسألك بكل معروف قدمته وابتغيت به وجهك.. اسألك بالعجوز التي كنت أصل رحمها، والايتام في الخيمة، وبمخلوقاتك التي كنت أطعمها طعاما ابتغاء مرضاتك أن تطلق لي لساني، وتنجني من كربي هذا.

كرر الكلام في النفس مرارا.

القارب البعيد يقترب، ويقترب كأن القدر يسوقه له.

حاول الصراخ، وبعد جهد ليس بالشاق انطلق لسانه بالكلام، وأول ما صدح به.

– الله أكبر، الله أكبر.

دوت مجلجلة وكأنها رعد نزل من أعلى.

انتبه الصياد في القارب للصوت، فراح يتتبعه، وإذا بكائن عند كهف الشيطان يومئ له.

خاف، وبدأ التجذيف مبتعدا هربا.

حسين يصرخ مجددا.

– أرجوك لا تهرب أنا انسي من بني جنسك.. أنا حسين الصياد الشاب الذي عن أهله واحبابه منذ أشهر غاب.

في تلك اللحظات، وبينما الشاب يحاول اقناع الصياد بالاقتراب، ومد يد المساعدة له كانت "نمنم" تجري بسرعة تسابق بها الريح بعد سماعها للصوت الواضح الصريح، ومعرفتها صاحبه.

اقترب القارب أكثر، فأكثر لكن الصياد خائف لا يزال إلا أنه اطمأن في النهاية، وقرر المجازفة.

نادى على من على حافت الكهف.

– هيا ارمي بنفسك في الماء، وأنا أنتشلك.

في تلك اللحظات، وبينما حسين يهم برمي نفسه بعدما وقف مستعينا بقدمه اليمنى التي عادت للعمل دخلت "نمنم" من المدخل الآخر للكهف، ونظرت لمكان الإنسي، فلم تجده.

صرخت صرخة هزت الجبل، ولصغيرتيها تحت ابطيها حملت، وإلى المدخل الآخر أسرعت.

الشاب قفز بسرعة عندما سمع الصوت، وفي لمح البصر صار بين أحضان البحيرة.

وبعد أن بالماء غمر عاد كامل جسده للعمل.

سبح، وسبح حتى وصل القارب، وعلى ظهره استقر.

المخلوقة تظهر للعيان، وتنظر إلى الإنسي الهارب بعين الغضب.

ثورة من الصراخ بصوتها المرعب.

الصياد المنقذ يكف عن التجذيف بعد أن تخشب بصره، وتعطلت أطرافه ذهولا.

حسين يصرخ.

– جذف، جذف.

الوحش تستل أول صغيرة من تحت ابطها، وترفعها عاليا، وتصيح.

– أيها الخائن أحببتك، فخنت، وراعيتك بأهلك فبعت.

قضمت رأس المسخ الصغير، وابتلعته، وألقت بالجسد في الماء، وهي تقول:

– خذ ثمرت حبك الزائف لا أريدها.

ثم استلت المسخ الثاني، وقالت ما قالته، وفعلت ما فعلته مع الأول.

بعد ذلك بصقت عليه، ثم قالت:

– خذها مني لعنة تلاحقك في نسلك، وأهلك إلى الابد.

بعدها أخذت تقتلع شعرها، وهي تصرخ عاليا، وتقول:

– تبا لحبك، تبا لعشقك.

كل هذا، والشاب يصرخ بالمنقذ يحثه على الابتعاد، والاخير لا يستجيب من شدت

الذهول.

بعد كل ذلك رمت المخلوقة نفسها في الماء، فاعتقد الشاب أنها ستلحق به، وتقتله إلا أنها، ومع أول ملامستها للماء أخذت بالتحول إلى زبد ذي لون أسود، وشيء فشيء تلاشت، ولم تترك ورائها اثر سوى عقدها الذي صنعته من الحصى أخذ يغوص ليستقر في أعماق البحيرة منهي قصة حب عجيبة، وطاويا صفحة تلك المخلوقة التي كثر عن جنسها الكلام، وكثرت بعد ذلك القصص، والحكايات عنها، وعن الشاب.

فهناك من قال إنها من الجن، ولا تزال تسكن البحيرة، وتخرج كل ليلة تنادي باسم حبيبها.

اخرون قالوا اختفت، ورهم كذب كل ما قيل عن القصة بمجملها، وبعض العجائز زعمن انها ما تزال في كهفها حتى يومنا هذا، وهي تغني الاغاني الحزينة على خيانة حبيبها، وكل اول خريف تخرج إلى البلدة ذاتها وتقتل من مواشي احفاد، احفاد، احفاد الشاب الصياد، وتخرب محاصيلهم.

نبذة عن المؤلف

الاسم: نصير حسين فارس العراقي

مواليد: العراق_ تكريت

الدراسة:

طالب بكلريوس إدارة واقتصاد، جامعة تكريت

عام 2006كتب الشعر الحر. وكتب المقال لجريدة ديوان تكريت، وموقع ديوان تكريت الإلكتروني.

أعمال سابقة:

– رواية ورقية عام 2011صدرت عن دار كتابنا للنشر بلبنان.

– رواية إلكترونية بعنوان "لعنة الأجداد" صدرت عن "دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2018

– كتاب خواطر الكتروني بعنوان "سطور حائرة" صدر عن "دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني" 2019

دار
قصص وحكايات
للنشر
الإلكتروني